نحو النّص والمعايير النّصية - دراسة في المفهوم والإجراءات-

أ.م.د فليح خضير شنيّ/ كلية الآداب/ جامعة واسط

أ. د. آلاء عبد نعيم/ كلية الآداب/ جامعة واسط

المقدِّمة

يقوم موضوع لسانيات النَّص بشكل عام على دراسة النَّص اللُّغويّ دراسة وصفية تحليلية في نسق يضمن له التَّرابط والتَماسك والانتظام. ولدراسة أيّ نصٍّ لغويّ سواء أكان شعرياً أم نثرياً دراسة لسانية لا بُدَّ من توافر عدد من الوسائل اللُّغوية التي تعمل على جعل النَّص اللُّغويّ نصاً متماسكاً قائماً بذاته، وهذه الوسائل تتجلى بالاتساق ، والانسجام ، والبعد التَّداوليّ؛ إذ إنَ كلاً منها ينضوي على مجموعة من الآليات التي تحكم النَّص وتجعله متماسكاً. وهذا ما سنتناوله في هذا البحث .

نحو الجملة ونحو النَّص قراءة مقاربة

ممَّا لاشك فيه أنَّ اللُّغة نظام من العلاقات "فهي بناء داخلي متداخل متدرج بحيث لا يُفهم جزء دون علاقة بالأجزاء الأخرى"[١] والذي نقصده باللُّغة هنا ما يُطلق عليه (النحو التَّركيبيّ الوظيفيّ)؛ ذلك أنَّ النَّحو في أبسط دلالاته هو: الضَّابط الدَّقيق والمنظم الصَّحيح للعلاقات المعنوية بين الكلمات، والفكرة الواحدة بين الجمل [٢] وهذا ما أكده أندريه مارتني الذي يرى أنَ اللُّغة عبارة عن نظام يشمل نوعين من الوحدات ؛ وحدات مميزة (الحروف)، ووحدات دلالية (الكلمات)[٣] . فالكلمة هي أصغر وحدة دلالية في التَّحليل اللغويّ، أمَّا الجملة فهي جزء من الدلالة النَّحوية التي تؤدي إلى دلالة السِّياق بفضل التَّرابط والاتساق والانسجام الحاصل بين أجزاء النَّص. ولكن يبقى الاختلاف قائماً بين تحليل الجمل مفردة و تحليلها بصورة متتابعة؛ فتتابع الجمل يغير في دلالة تلك الجمل ممَّا يغير في التَّحليل أيضاً، وقد لَمَح القدماء من النَّحويين هذا الفرق أعني الفرق بين حالة التَّركيب وحالة الإفراد ، ومقولة ابن يعيش توضح هذا إذ قال: "يمكن أن يُقال أنَّ الشيئين إذا تركبا حدث لهما بالتَّركيب معنى لا يكون في كل واحد من أفراد ذلك المركب "[٤]

لقد احتلت الجملة مكانة مهمة في موضوع الدَّرس النَّحويّ قديماً وحديثاً إلا أنَّها أصبحت محوراً مهماً في الدِّراسات اللسانية الحديثة ، فقديماً مهد سيبويه[٥] الطَّريق لغيره من النَّحويين الآخرين الذين ظهر عندهم مفهوم الجملة بصورة أوضح فقد عدوها وحدة لغوية الغاية منها إفادة السَّامع معنى من المعاني يوجد فيها ويميزها عن غيرها من الجمل[٦] وقد تبنى عبد القاهر الجرجاني هذه الفكرة بصورة أوسع إذ ذكر بعض الدلالات النَّحوية للجملة مبتكراً نظرية النظم ،مؤكداً أنَّ قوانين النّظم في جوهرها قواعد النحو وقوانينه مبيناً الصِّلة الوثيقة بين (علم النحو) و(علم المعاني) فهما يبحثان القوانين التي يجب مراعاتها في تأليف الكلام والعلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة ، وبين الجمل بعضها مع بعض وأثر ذلك على أداء المعنى المطلوب.فالجملة ـــــ إذن ـــــ ليست مجرد مسند ومسند إليه فحسب ، بل هي فضلاً عن هذا تشمل كل المتعلقات والمقيدات الأخرى التي تسهم في إكمال المعنى الذي أسسه المسند والمسند إليه ، أضف إلى ذلك أيضاً الجمل المكافئة لها والموازية ،ولكن الذي يؤخذ على النحو قديماً أنَّه قد دأب على دراسة الجملة مجتزأة من السِّياق ، مركزاً على دراسة أثر

كل عنصر في الآخر، مع الاهتمام بالعلامة الإعرابية ، ونظرية العامل، ولا ريب في ذلك فعائدية الأمر إنَّما تكمن في المنهج الدراسيّ القائم آنذاك، فهو منهج معياريّ ، ينظر إلى النحو على أنَّه علم صناعة القواعد النحوية وتلقينها للمتعلمين واتقانها، إذ كانت الظَّواهر النَّحوية تُفسَّر بمساس مع الفلسفة والمنطق وهذه العلوم تُبعد اللُّغة عن دورها التواصلي، هذا الدور الذي تبنته الدراسات النحوية الحديثة في مناهج دراستها ، التي نأت بالنحو بعيداً عن نظرية العامل، والفلسفة، والمنطق، والتأويلات، وأخذت تدرس اللُّغة وفق منهج وصفيّ يأخذ في الحسبان دراسة النَّص اللُّغويّ في ضوء عناصره اللُّغوية وغير اللُّغوية، ولهذا أصبحت الدِّراسات النَّحوية الحديثة تنظر إلى النَّص على أنَّه مجموعة التَّراكيب والإشارات الاتصالية التي ترد في تفاعل تواصلي .

لقد جمع علم اللُّغة النَّصيّ بين علم اللُّغة الجملي (علم النحو) وعلم اللُّغة التَّركيبيّ (نحو النَّص) في دراسته. فالنَّص وحدة دلالية وما الجمل إلا أدوات يوصل بها إلى تحقيق النَّص ولذلك بدا نحو النَّص أكثر اتساعاً وشمولاً من نحو الجملة ، فنحو الجملة جزء من نحو النَّص ومرحلة من مراحل التَّحليل النَّصيّ .

فنحو النَّص يدرس النَّص في ضوء وحدته اللُّغوية الكبرى ، فهو يعمد إلى تحليل الجمل في إطار علاقتها بما يجاورها ويدرس التشابك بين الجمل فضلاً عن الوظيفة الدّلالية للعناصر النَّحوية ومن ثمَ يربطها بمضمون النَّص الكلي[٧]. وعلى هذا تكون قواعد العناصر الصَّوتية والصَّرفية والنَّحوية والمعجمية أولى المؤثرات النَّصية التي قد تؤثر في تحليل النَص .

خلاصة القول: إنَّ نحو النَّص ليس بدعاً من علماء اللُّغة المحدثين بيد أنَّه علم له جذوره في التراث العربي الإسلامي وهو ما يمكن أن نلحظه في كتب الشروح وكتب الإعجاز القرآني وكتب التفسير التي تناولت النَّص من أصغر بناء فيه وهو الوحدة الصَّوتية مروراً بالكلمة فالجملة ثم البنية الكلية للنص. وكفى بإشارات سيبويه في كتابه دليلاً، فقد تحدث عن التناسق والملاءمة بين الكلمات في الجمل عند تقسيمه الكلام إلى مستقيم حسن، ومستقيم محال.. وغيرها[٨] وعن الذكر والحذف[٩] ، ولعلَّ مقولته الآتية خير مصداقٍ على هذا، فقد أشار إلى أثر سياق الحال في تفسيره لقولهم: "كلما تأتيني آتيك، فالإتيان صلة لـ (ما) كأنَّه قال: كل إتيانك آتيك ، وكلما تأتيني يقع أيضاً على الحين كما كان: ما تأتيني يقع على الحين ولا يستفهم بكلما كما لا يستفهم بما تدوم . وسألته عن قوله: الذي يأتيني فله درهمان، لم جاز دخول الفاء هاهنا والذي يأتيني بمنزلة (عبد الله) وأنت لا يجوز لك أن تقول: عبد الله فله درهمان، فقال: إنَّما يحسن في الذي ؛ لأنَّه جعل الآخر جواباً للأول وجعل الأول به يجب له الدرهمان فدخلت الفاء هاهنا كما دخلت في الجزاء إذا قال: إن يأتني فله درهمان ، وإن شاء قال الذي يأتيني له درهمان، كما تقول: عبد الله له درهمان، غير أنَّه إنَّما أدخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الإتيان ، فإذا قال: له درهمان، فقد يكون أن لا يوجب له ذلك بالإتيان فإذا أدخل الفاء فإنَّما يجعل الإتيان سبب ذلك فهذا جزاء وإن لم يجزم لأنَّه صلةٌ ومثل ذلك قولهم : كلُّ رجلٍ يأتينا فلهُ درهمان، ولو قال: كلُّ رجلٍ فله درهمان كان محالاً ؛ لأنَّه لم يجيء بفعل ولا بعمل يكون له جوابٌ ومثل ذلك "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ "[١٠] وقال تعالى.. "قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ"[١١]، ومثل ذلك، "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ"[١٢].

وسألت الخليل عن قوله جلَّ ذكره: "حتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا "[١٣] أين جوابها وعن قوله جلَّ وعلا: " وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ " [١٤] " وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ "[١٥] فقال : إنَّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبَرِ لأي شيءٍ وضع هذا الكلام "[١٦] ولكن الذي يُسجل للمحدثين في هذا الميدان هو إظهاره كعلم له منهجيته ومصطلحاته وموضوعاته ، فهو علم قديم التَّطبيق حديث المنهج.

لقد وضع الغربيون معاييراً لهذا العلم حكموا فيها على نصية النَّص متى ما توافرت فيه ، والنَّصية مصطلح يُعنى به أنَّه : " حدث تواصليّ يلزم كونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ، ويزول عنها هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير "[١٧]. وإذا ما وقفنا على تلك المعايير التي حددوها ولاسيما التي ذكرها دي بوجران بقوله: " وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النَّصية ... أساساً مشروعاً لإيجاد النّصوص"[١٨] ، وهذه المعايير هي[١٩]:

١. الاتساق
٢. الانسجام
٣. المقامية
٤. القصد
٥. القبول
٦. التَّناص
٧. الإعلام

نجد أنَّ مفهومها ومضامينها قد وردت في كتب النَّحو والبلاغة والنقد والأدب والتفسير وعلوم القرآن.

وفي ضوء هذه المعايير السَّبعة يحكم على النَّص بالتَّماسك والنَّصية من وجهة نظر علماء اللُّغة الغربيين.

والذي يبدو أنَّ ليس جميع هذه المعايير قد تكون متوافرة في النَّص إن لم يكن أغلبها ولكن هذا لا يعني أنَّ النَّص ليس نصاً ولاسيما إذا ما أُخِذ بعين الاعتبار النَّص القرآني يقول دي بوجران : " لا يعني ضرورة تحقق هذه المعايير السَّبعة في كلِّ نصٍّ ، وإنَّما يتحقق الاكتمال النَّصيّ بوجودها ، وأحياناً تتشكل نصوص بأقل قدر منها "[٢٠]. وسنقف على هذه المعايير محاولين دراستها في ضوء بعض النّصوص اللُّغوية المختارة من القرآن الكريم .ولكن قبل الشّروع في هذا الموضوع ينبغي أن نذكر أنَّ أيَّ نصٍّ لغويّ يخضع للدراسة والتَّحليل إنَّما يقوم على عدد من المحاور ؛ إي إنَّ التَّحليل النَّصيّ في ضوء علم لغة النَّص إنَّما يقوم على ثلاثة محاور هي:

١.المحور النَّحويّ: وفي هذا المحور يتم دراسة معيار الاتساق الذي يهتم بالبنية الظاهرة للتركيب ومدى تحقق التّرابط اللفظي تبعاً للبنى النَّحوية ووفق وسائل السَّبك النَّحويّ.

٢. المحور الدِّلاليّ: وفيه يُدرس معيار الانسجام الذي يعمد إلى دراسة التَّرابط الدِّلالي بين المفردات والجمل والنَّص والسِّياق.

٣. المحور التَّداوليّ: ويدرس فيه سياق الحال؛ من أشخاص، وأماكن، وأقوال ، وأحداث. وهو ما يُطلق عليه بالعناصر غير اللُّغوية .

ماهية المعايير في التَّحليل النَّصيّ ومدى انطباقها على النصوص اللغوية.

قبل البدء بدراسة ماهية هذه المعايير ينبغي الإشارة إلى أنَّ هذه المعايير يمكن تقسيمها وفق مبدأ التَّواصل اللُّغويّ إلى ثلاثة أقسام :

الأوَّل: ما له علاقة بالنَّص اللُّغويّ (الرِّسالة) : ويشمل الاتساق والانسجام .

الثاني: ما له علاقة بمنتج النَّص ومتلقيه (المُرسَل والمُرسل إليه) : ويشمل القصدية والمقبولية .

الثَّالث: ما له علاقة بالسِّياق الثقافي وسياق الحال : ويشمل المقامية والإعلام والتَّناص.

المعيار الأوَّل: الاتساق أو السَّبك: ويتجلى في الوسائل التي تسهم في تحقيق التَّرابط بين العناصر الشَّكلية للنصوص بصورة يؤدي فيها السَّابق إلى اللاحق ويتعلق فيها اللاحق بالسَّابق؛ بمعنى التَّشكيل النَّحويّ للجمل.[٢١] ويعمل أيضاً على تحقيق العلاقات النَّحوية والمعجمية بين الجمل ممَّا يسمح باستمرارية النَّص.[٢٢]

يُعد مصطلح السَّبك " أقرب شيئاً إلى المفهوم المراد ، وأكثر شيوعاً في أدبيات النَّقد القديم "[٢٣]، ومصداق ذلك قول أبي هلال العسكريّ في تعليقه على أبياتٍ للنمر بن تولب وهي "

لَعَمْري لقد أنكرتُ نَفْسِي وَرَابَني

مَعَ الشّيب أبْدَالِي التي أتبدلُ

فُضُولٌ أرَاهَا في أدِيميَ بَعْدَما

يكون كَفَاف اللّحْم أو هُوَ أَفْضَلُ

فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف "[٢٤] أمَّا تمام حسَّان فقد وضح مصطلح السَّبك بقوله : " السبك إحكام علاقات الأجزاء ، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة ، وقرينة الرَّبط النَّحويّ من جهة أُخرى ، واستصحاب الرُّتب النَّحويَّة ، إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبيّ "[٢٥]

مظاهر السَّبك

١. الإحالة: علاقة دلالية تشير إلى عملية استرجاع المعنى الإحالي بين تراكيب النَّص اللُّغويّ ، ممَّا يقتضي وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المُحال عليه ولذا يمكن القول إنَّها: " عملية ذات طبيعة تداولية ، تقوم بين المتكلم والمخاطَب ، في موقف تواصليّ معيَّن ، يحيل فيه المتكلم المخاطَب إلى ذاتٍ معينة "[٢٦] فـ " هي تعني تارة العملية التي بمقتضاها تحيل اللَّفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم ؛ أي ما يسميه القدامى (الخارج) و... تعني تارة أُخرى إحالة اللَّفظة على لفظة متقدمة عليها "[٢٧].وتنقسم الإحالة على قسمين هما[٢٨]:

١.**الإحالة الدَّاخلية (الإحالة النَّصيَّة)** : وتكون داخل النَّص ، وهي تنقسم بدورها على قسمين:

أ. **إحالة قَبْلِيَة** : وتعني إشارة العنصر المُحيل إلى عنصر آخر سابق له في التَّركيب النَّصيّ.

ب. **إحالة بَعْدية**: وتعني إشارة العنصر المتقدم إلى عنصر آخر لاحق له في التَّركيب النَّصيّ.

٢. **الإحالة الخارجية (الإحالة المقامية)** وتعني الإحالة إلى ما هو خارج النَّص ؛ أي: إحالة العنصر اللُّغويّ إلى عنصر غير لُغويّ موجود في سياق الحال الخارجي (المقام). وعناصر الإحالة هي: الضَّمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة[٢٩].

ويمكن إيضاح هذين القسمين من الإحالة ، والعناصر التي شاركت في تحقيقها بالوقوف على بعض النّصوص القرآنية . ففي قوله تعالى :" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ..."[٣٠]. ففي الضَّمير في قوله(رَبَّهُ) إحالة نصية قبلية عائدة إلى(إبراهيم ــ ع ــ) لا إلى (الذي) المقصود به (نمرود) ، وكذلك الضَّمير في (آتاه) عائد إلى (إبراهيم ـــ ع ـــ) أي إنَّ الله عزَّ وجلَّ لمَّا آتى إبراهيم النبوة حاجَه فيها نمرود بعد أن ألقى إبراهيم (ع) في النَّار فجعلها الله تعالى عليه برداً وسلاماً.[٣١] ولاسم التَّفضيل أيضاً مساهمة في الإحالة سواء أكانت قَبْلية أم بعدية لاسيما وأنَّه يعمد إلى المقارنة بين شيئين ، ليثبت أنَّ أحدهما قد انماز عن الآخر في نسبة التَّمييز والمفاضلة على نحو ما جاء في قوله تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..."[٣٢] فالتّاريخ يشهد بأنَّ المسلمين كانوا خير أمَّة أخرجت للناس عندما كان الإسلام مادة للتعليم في مدارسهم ، ومصدرا للأحكام في محاكمهم ، وأساسا للعلاقات والمعاملات مع غيرهم من الأمم والشعوب، ومع بعضهم البعض[٣٣]. فكلمة (خير) تدلّ على المفاضلة بين أمَّة (محمَّد ـــ ص ــ) وبين الأمم السَّابقة لها ، فهي أفضل من سائر الأمم.[٣٤]

أمَّا الإحالة الخارجية (المقامية) فيمكن أن نلحظها في تحليلنا لقوله تعالى : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ *وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ *... وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ "[٣٥] فمضمون الآية يتجلى في ثلاثة محاور هي (القرآن، النَّبي محمَّد ، المشركون) فإنَّ القرآن الكريم كتاب منزل من الله عزَّ وجلَّ على نبيه محمَّد(ص) بيد أنَّ المشركين أنكروا هذه الحقيقة واتهموا النَّبي محمَّد(ص) باتهامات باطلة أشارت إليها الآية المباركة [٣٦]، وإذا ما تأملنا النَّص الكريم لوجدنا أنَّ معظم الإحالات الواردة فيه إنَّما حصلت بالضَّمير، ولا شك في أنَّ الضمائر أقوى وسائل الرَّبط في الإحالة وهذا ما سنوضحه في المخطط الآتي:

إحـــــالـــــــــة خـــــــارجـــــــــيـــــــــة

الكلمة	العنصر الإحالي	المحيل عليه
فلا أقســــــــم	(أنا) ←	← الله عزَّ وجلَّ
إنَّـــــــه لقـول	(الهاء) ←	← القرآن الكريم
رسول كـريم	←	← محمّد(ص)
ما هو بقول	(هو) ←	← القرآن الكريم
شاعـــــرٍ	←	← محمَّد (ص)
قليلاً ما تؤمنون	(أنتم) ←	← المشركون
ولا بقـــــول	←	← القرآن الكريم
كاهــــــــنٍ	←	← محمَّد (ص)
قليلاً ما تذكرون	(أنتم) ←	← المشركون
إنَّه لتذكرة	(الهاء) ←	← القرآن الكريم

يلحظ من المخطط أنَّ للأحداث الخارجية وتصورها في ذهن السَّامع أثراً واضحاً وقد أسهمت الإحالة الخارجية في إيضاحه بوساطة الضَّمير الذي مثل السِّمة الغالبة في الآيات القرآنية ، ففهم السَّامع للنّص بمعرفته لسياقه الخارجيّ أدى إلى بيان إدراكه لمرجعية الضَّمائر فيه لاسيما وأنّه لم يُذكر في النَّص اسم النَّبي ، أو اسم القرآن صراحةً.

٢.الاستبدال: ويعنى به تعويض عنصر في النَّص بعنصر آخر داخل النَّص[٣٧].فهو علاقة اتساق أشبه بالإحالة ولكنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النَّحويّ المعجميّ بين كلمات أو عبارات ، في حين أنَّ الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلاليّ[٣٨]. ويقسم الاستبدال على ثلاثة أقسام هي[٣٩]:

١. **الاستبدال الاسميّ**: ويكون فيه العنصر البديل متصلاً باسم ورد ذكره في موضع سابق في النَّص. نحو قوله تعالى : " قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ "[٤٠] فقد استبدل كلمة (فئة) بكلمة (أخرى) وقد حلت محلها ودلت عليها في المعنى . ومثل هذه الكلمة يمكن أن تنوب كلمة (ثانية ، الأول).

٢. **الاستبدال الفعليّ**: وفيه يحل فعل محل فعل آخر متقدم عليه ، ومنه قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ *أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ"[٤١]. فقد حل الفعل (جعل) محل (فعل) وكذلك الفعل (أرسل) وكأنَّ في هذا الاستبدال ملمسٌ بياني إذ جاء الفعلان (جعل، وأرسل) مفصلين ومبينين للفعل (فعل) الذي يحمل دلالة الغموض.

٣. **الاستبدال القوليّ** : وفيه يتم استبدال عنصر محل عبارة داخل سياق النَّص ويشترط فيه أن يتضمن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها. ومنه قوله تعالى :"مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا..."[٤٢] فالعنصر اللغوي (ذلك) إنَّما هو إيضاح لكل ما ذكر في القصة ، فالاستبدال هنا وقع بين قوله تعالى (ذلك) ومضامين القصة السابقة .

٣ . الحذف : يرتبط الحذف بالمستويين اللُّغويين التَركيبيّ والدِّلاليّ ؛ لأنَّه يعتمد بالأساس على المعنى الكلي للسياق النَّصي القبلي، إذ يُفترض أن يكون العنصر اللُّغويّ المحذوف قد أشير إليه مسبقاً في السِّياق فهو أشبه بالعلاقة القبلية ، وحذفه إنمَّا يكون لدلالة ما قبله عليه وهذه الدِّلالة إمَّا أن تكون لوجود قرائن معنوية أو مقامية وفي نحو النَّص تعتمد هاتين القرينتين للدلالة على المحذوف .فالحذف إذاً: "علاقة داخل النَّص وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النَّص السَّابق وهذا يعني أنَّ الحذف عادة علاقة قبلية "[٤٣]

أمَّا أهميته فتتجلى في كونه يوقظ في ذهن السَّامع (المتلقي) شحنة ، توقظ ذهنه فتجعله يفكر في العنصر اللُّغويّ المقصود وقديمًا وصفه الجرجاني بأنَّه " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ... فإنَّك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر ، والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن "[٤٤] وإذا ما وقفنا على التحليل اللغوي للنص القرآني في قوله تعالى : " فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ "[٤٥] للمسنا جمالية الحذف في قوله عزَّ وجلَّ: "وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" ؛ أي : أنا عجوز . من جانبين : الأول ، من الجانب النَّحوي لوجود الدليل عليه وهو ما أُشير إليه في بداية النَّص في قوله : "فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ "[٤٦] والثاني: يتجلى في كون سياق المقام يقتضي الحذف ؛ لضيق المقام ، وهذا ما يتناسب مع أحداث القصة التي تكاد تجري أحداثها بسرعة من دون إسهابٍ أو إطالة ومن جهة أُخرى أنَّ امرأة إبراهيم (ع) لم تشأ أن تخبر عن صفتها (العقم) فتأتي بالمسند والمسند إليه ، بل جاء حذف المسند إليه على لسانها ليحول النَّص من الإخبار إلى الإنشاء ، ليصبح الأمر فيه تعجب ، فكيف تلد من كانت عقيماً "وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ".

٤.الـــــــــرَّبـــــط : أو الوصل ، قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر في النَّص اللُّغويّ ؛ فالنَّص عبارة عن تتابع من الجمل المتواصلة ، التي تكون كلاً متواصلاً فعندئذٍ يكون بحاجة إلى روابط تربط سابقها بلاحقها . وهذه الرَّوابط متعددة يوضحها الشكل الآتي[٤٧] :

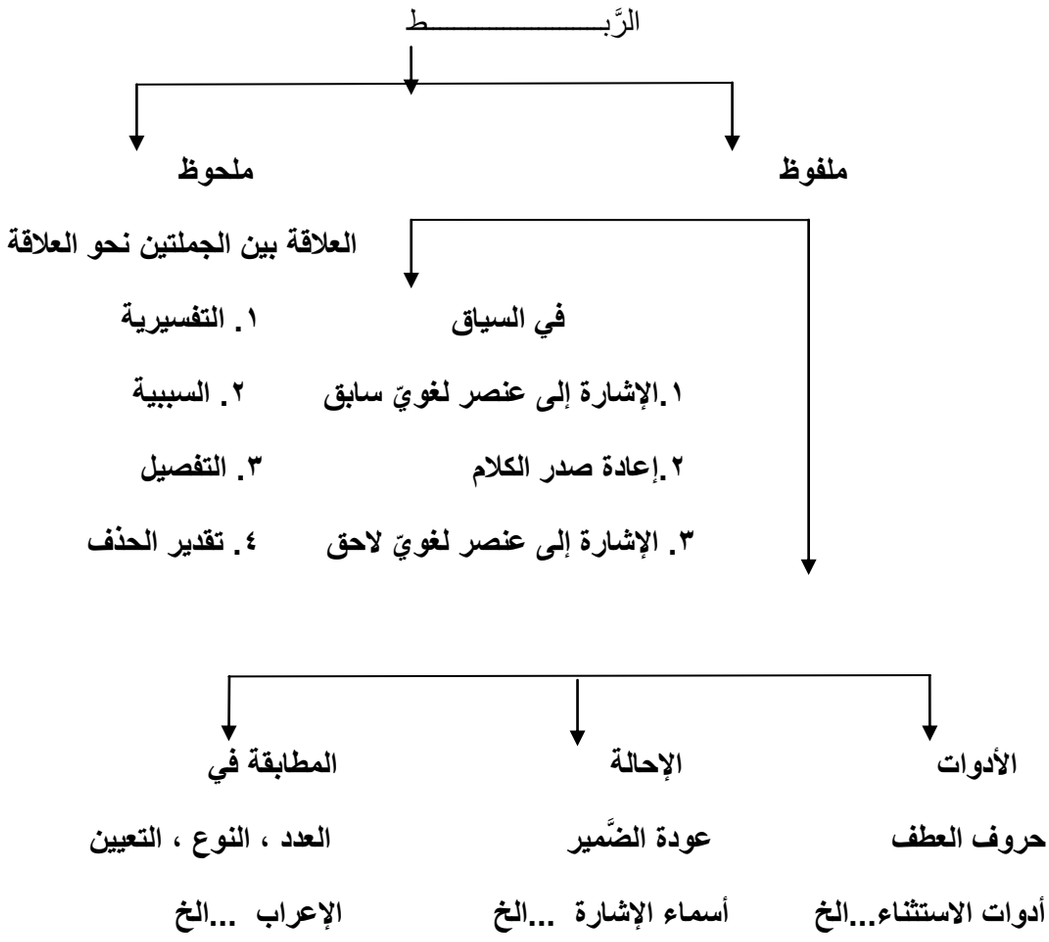

ووسائل الرَّبط هذه تتنوع في المصطلح ؛ فقد تدل على الرَّبط الإضافي في (الفاء ، والواو)، أو الزَّمني في(بعض حروف العطف، ثم ، الفاء ، حتى ...الخ)، أو العكسي في (أدوات الاستثناء، إلا ، غير ، لكن ، لا يكون ، وحرف العطف ، بل...الخ) أو الرَّبط السَّببيّ في (فاء التعليل ، كي ...الخ) . ولكنها قد تشترك في أكثر من وظيفة على وفق السِّياق الذي ترد فيه فـــ (الفاء) مثلاً تستعمل في الرَّبط الإضافيّ ، والرَّبط الزَّمني ، بيد أنَّها في قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً "[٤٨] استُعملت في الرَّبط الإضافيّ لتدلَّ على الجمع والتَّشريك في ضرب المثل، فالمراد في النَّص أنَّ البعوضة وما يندرج من مراتب القوة فوقها زائد عليها [٤٩] وليس الجمع والتَّشريك في المثل ؛ أي إنَّها لم تفد التَّرتيب الزَّمنيّ في ضرب المثل في سياق النَّص المبارك.

٥ . **التَّماسك المعجميّ** : وهو أحد وسائل الاتساق ، يتجلى تحقيقه بمفاهيم الكلمات ومعانيها المعجمية ، ويتضافر مع بقية عناصر السَّبك النَّحويّ ليحقق نصية النَّص. ويعنى به : " العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعة النَّصيَّة ، وهي علاقة معجمية خالصة ؛ إذ لا تفتقر إلى عنصر نحويّ يظهرها ، ومن ثمَّ فهي

تخضع لعلاقات أُخرى غير التي تخضع لها عناصر السَّبك النَّحويّ "[٥٠] ويتحقق هذا المعيار في محورين أساسيين هما : التكرار ، والمصاحبة المعجمية (التَّضام) .

المعيار الثاني :الانسجام : وهو " خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنَّص في علاقتها بما يُفهم من الجمل الأخرى "[٥١] إذ إنَّه يتطلب صرف الاهتمام إلى العلاقات الخفية التي تنظم النَّص وتولده.[٥٢] ولعلَّ من أهم هذه العلاقات علاقة البيان والتفسير ، والفصل والوصل ، والإجمال والتفصيل، وترتيب الجمل في النَّص ، ومدى انسجام جزئيات النَّص مع بعضها، وارتباطها بموضوع النَّص ، والسياق بنوعيه اللغويّ وغير اللغويّ (سياق الحال)، فالانسجام النَّصيّ إذاً يعتمد على المستوى الدلالي للنص ، ويمكن أن نسميه بـ(التَّماسك الدّلاليّ) .لأنَّ " النص يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر ، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها "[٥٣] ففي قوله تعالى: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "[٥٤] فالآية بدأت بالإجمال في قوله (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ) ثم جاء بعد ذلك التَّفصيل في السّياق نفسه في قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...) وقوله (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ، وهذا النوع من العلاقات غالباً ما يقع في مستويات أعلى في النَّص. فالإجمال والتفصيل ـــ على نحو ما ذكرنا ـــ أحد العلاقات الدّلالية التي يتجسد فيها الانسجام.

وللإسناد أثر في بيان مدى الانسجام الحاصل بين جزئيات النَّص، لاسيما إذا كان الإسناد حقيقيّاً ، فمدى الانسجام بين طرفي الإسناد يكون أكثر وضوحاً على نحو قوله تعالى : " يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [٥٥] فإسناد التسبيح إلى الملائكة والمؤمنين وجميع المخلوقات إنَّما هو إسناد حقيقيّ ،أسهم في تحقيق الانسجام النَّصيّ في هذه الآية المباركة مع الآيات الأخرى في السورة لإيضاح كيف أبطل عزَّ وجلَّ " إِشْرَاكِ الْمُشْرِكِينَ وَزَجْرَهُمْ عَنْ دِينِ الْإِشْرَاكِ بِأَسْرِهِ ...وتكذيبهم الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكْذِيبُ الْقُرْآنِ وَتِلْكَ أُصُولُ ضَلَالِهِمْ ابْتُدِئَتِ السُّورَةُ بِالْإِعْلَانِ بِضَلَالِهِمْ وَكُفْرَانِهِمُ الْمُنْعِمَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ تَعَالَى عَنِ النَّقَائِصِ: إِمَّا بِلِسَانِ الْمَقَالِ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْ بِلِسَانِ الْحَالِ مِثْلَ عِبَادَةِ الْمُطِيعِينَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُدْرِكَةِ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِمَّا بِلِسَانِ الْحَالِ مِثْلَ دَلَالَةِ حَالِ الِاحْتِيَاجِ إِلَى الْإِيجَادِ وَالْإِمْدَادِ كَحَاجَةِ الْحَيَوَانِ إِلَى الرِّزْقِ وَحَاجَةِ الشَّجَرَةِ إِلَى الْمَطَرِ وَمَا يَشْهَدُ بِهِ حَالُ جَمِيعِ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَنَّهَا مَرْبُوبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَمُسَخَّرَةٌ لِمَا أَرَادَهُ مِنْهَا"[٥٦].

أمّاَ الإسناد المجازي فيكون هو الآخر مسؤولاً عن الانسجام النَّصي ؛ كونه يمثل أحد عناصره على نحو ما نلحظه في قوله تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ "[٥٧] فإسناد الربح إلى التجارة إسناد مجازي؛ وكانت الغاية من هذا الإسناد هو التوسع في المعنى لأنَّهم " أُنزلوا منْزلةَ منِ اتَّجَر؛ لأنَّ الرّبحَ والخُسرانَ إنما يكونانِ في التجارةِ، والمعنى: فما ربحوا في تجارتِهم، ومثلُه قولُ العربِ: خَسِرَ بيعُهُ؛ لأنَّه قدْ عُرِفَ المعنى»[٥٨].

المعيار الثالث: المقامية

يختص هذا المعيار بالقرينة الحاليَّة ؛ أي: بسياق النَّص والظَّروف والملابسات التي أُحيطت به ، فهو يشمل العناصر اللُّغويَّة، والعناصر غير اللُّغويَّة .

تُعد دراسة السِّياق من الدراسات اللُّغويَّة القديمة ولا سيما في علمي البلاغة الذي يهتم بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وعلم التَّفسير الذي يهتم بدراسة أسباب النزول. إذ يمكننا القول: إنَّ السّياق آنذاك قد استُعْمِل بمفهومه النَّصيّ الحديث، لاسيما وأنَّ اللغويين العرب القدماء قد استعانوا بالسياق في فهم النصوص وتحليلها[٥٩] وهو ما يؤكد عليه أصحاب اللسانيات الحديثة يقول فيرث: "إنَّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية ؛أي وضعها في سياقات مختلفة ... فمعظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة إلى وحدات أُخرى ، وإنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأُخرى التي تقع مجاورة لها "[٦٠] ولكن من الإنصاف القول : إنَّ اللسانيين وضعوا للسياق نظرية لها أُسسها وإجراءاتها التي يمكن بوساطتها دراسة كل أنواع المعنى. ومن ثمَّ فقد قسَّموا السِّياق إلى قسمين رئيسيين هما :

١. السِّياق الحالي (المقاميّ) الذي يهتم بدراسة العناصر غير اللُّغويَّة(المتكلم ، المتلقي، سياق الحال)
٢. السِّياق المقاليّ (اللُّغويّ) ويهتم بدراسة عناصر الاتساق والانسجام داخل النَّص.

يبدو أنَّ دراسة السِّياق ترتبط أكثر بالتَّداوليَّة النَّصية التي تُعد من أقرب فروع العلوم التي تعالج قيود الصلاحيَّة لسياق معين فهي " علاقة بين النَّص وسياقه "[٦١]. وعند الوقوف على قوله تعالى : " فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ "[٦٢] تتضح لنا علاقة النَّص بالسّياق الخارجي ، فقد رجح علماء التّفسير أن يكون قول إبراهيم (ع) هذا إنَّما كان مُحاجة ورد على قومه، فلا يتصور أن يكون قد قال هذا القول وهو في الغار وحده ، بل كان الخطاب موجهاً لقومه فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم إلى أنَّ هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحداً منها إلهاً لقيام الدليل على حدوثها ، وأنَّ الذي أحدثها ودبر طلوعها وأفولها هو الله عزَّ وجلَّ مستدلين أيضاً بقوله (ع) : (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)[٦٣].

إذن، فدراسة السياق أقرب ما تكون دراسة تداولية؛ ذلك أنَّ التداوليات النَّصية ذات نظرة أكثر شمولية كونها تهتم بدراسة السياق اللغوي وغير اللغوي فهي تحيط بعناصر العملية اللغوية التواصلية جميعها من (المُرسِل، المُرسِل إليه، الرسالة، الزمان، المكان) .أولاً ، ولكون التداولية تهتم بما تحدثه اللغة من أثر في مستعمليها ، وهذا ما صرح به أوستن عندما قال: إنَّ اللغة لم تعد وسيلة تواصل فحسب، بل هي وسيلة للتأثير وتغيير السلوك والمواقف، يتم بوساطتها إنجاز جملة من الأفعال وهو ما يعرف بأفعال اللغة أو الأفعال الكلامية ثانياً[٦٤]

المعيار الرابع :القصد

يتعلق هذا المعيار بالمتكلم ، وما ينطوي عليه كلامه من معانٍ قصد إيصالها إلى المتلقي ، فـ "اللُّغة نشاط وعمل ينجز ... بنية وقصد يريد المتكلم تحقيقه جراء تلفظه بقول من الأقوال".[٦٥] ويشترط في هذا المعيار تحقيق معياري الاتساق والانسجام لتتحقق القصدية ، إذ يمكن الحفاظ على هذين المعيارين من إعادة الصِّياغة

لتحقيق أهداف نصية متغايرة فضلاً عن حرص المتكلم على إيصال مقاصده إلى المتلقي وهذا لا يكون إلا بالحفاظ على العملية التَّواصلية[٦٦]. القائمة بين المرسل (المتكلم) والمتلقي والرسالة (النَص) ؛ لذا يمكن القول إنَّ معيار القصدية يُعد جزءاً من دلالة النَّص ؛ إذ لا يكون النَّص خطاباً إذا كان خالياً من القصدية ،لأنَّه عندئذٍ يفقد سمة التَّواصل. وهذه الدلالة إمَّا أن تكون مباشرة ، فيدرك السَّامع معنى النَّص وغايته من غير تحليل أو تأويل ، أو تكون غير مباشرة ، أي تتضمن معانٍ ودلالات يحتاج المتلقي إلى فك شفرتها بالتَّحليل أو التَّأويل. وكفى بمقولة الجاحظ في باب البيان خير دليلٍ على مفهوم القصدية والتي عبَّر عنها بمصطلحي الفهم والإفهام عندما قال : " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسَّامع إنَّما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان في ذلك الموضع "[٦٧]

لقد تبلور مفهوم القصدية بصورة أكثر عند المحدثين ولا سيما في ميدان التَّداولية النَّصية في نظرية الأفعال الكلامية.التي تقوم على تقسيم الأفعال إلى: أفعال مباشرة، وأفعال غير مباشرة. أمَّا الأفعال المباشرة فهي تلك الأفعال الكلامية التي تُعبر صراحة عن الغرض من الكلام، إذ تكون ذات مقصد ظاهر يدلُّ على المعنى بصورة صريحة،أمَّا الأفعال الكلامية غيرالمباشرة فيكون المقصد فيها خفياً غير ظاهر،كونه يأتي بصورة المجاز.

وهذا المفهوم وإن ظهر بمصطلحات حديثة بيدَ أنَّ جذوره قديمة يمكن الوقوف عليها في كتب النَّحويين والبلاغيين [٦٨] وعلوم القرآن ولا سيما في الإعجاز القرآني أو التفسير، فمنهج القرآن الكريم وبالأخص في آيات الإحكام يقوم على الإجمال الذي يكون بحاجة إلى التفصيل وغالباً ما يتخذ هذا التفصيل من التأويل قناةً له ، ومن هنا يرتبط التأويل بالسياق التداوليّ ونظرية أفعال الكلام. ففي قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ "[٦٩] نلحظ الفعل الكلامي (ختم) القائم على الاستعارة قد أخذ دوره في بيان الخطاب الحجاجيّ الموجه للكافرين ففيه "استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه أو بيان وتأكيد له"[٧٠] والختم لا يكون إلا على الشئ المغلق ، وهو هنا ختم "معنوي فإن القلب لما لم يقبل الحق مع ظهوره استعير له اسم المختوم عليه فبين أنه من مجاز الاستعارة "[٧١] فقد أسهم الفعل (ختم) بدور فعَّال في الحجاج ؛ إذ أنَّه إخبار من الله عن تكبر الكافرين وإعراضهم عن الإستماع لما دعوا إليه من الحق حتى أصبحت قلوبهم مغلقة .

المعيار الخامس:القبول

يتعلق معيار المقبولية بالمتلقي للنص اللُّغويّ؛ إذ يعتمد الأمر على مدى فهم المتلقي وإدراكه لمقصد المتكلم، وهنا ينبغي أن يكون النَّص اللُّغويّ المُنتَج محبوكاً ومتماسكاً ليتسنى للمتلقي فهمه ، ومن ثمَّ يكون معيار القصدية قد فعَّل دوره في العملية التَّواصلية لتكون حصيلة الأمر حصول عملية الفهم والإفهام لدى المُنتج للنَّص ولدى المتلقي في آن واحد. وهنا يبغي أن نشير إلى أنَّ "القصدية والمقبولية مصطلحان نقلا من نظرية الحدث الكلامي؛ حيث يقومان فيها بوظائف جوهرية تحدد العلاقات بين الأشكال النَّصية وإمكاناتها واختلاف

درجات التلقي والتفاعل والتأثير"[٧٢]. والملحظ على هذا المعيار؛ أعني القبول أنَّه يمكن تطبيقه على النَّصوص اللُّغوية عامَّة سوى النَّص القرآنيّ، فمسألة الرَّفض أو القبول؛ أي ما يتعلق بموقف المتلقي لا مجال لها للتَّطبيق في النَّص القرآنيّ؛ فهو نصٌّ إلهيّ لا رفض فيه ولا إنكار من قبل المتلقي.بل إنَّ المعايير النَّصيَّة جميعها تعمل متضافرة للوصول إلى الغاية المطلوبة في النَّص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المعيار السَّادس : التَّناص

أمَّا التَّناص فهو مصطلح يمثل تلك العلاقة القائمة بين النَّص المُنتَج والنَّصوص السَّابقة له ؛ فغالباً ما يكون النَّص المُنتج مُستقى من نصوص أُخرى أو متداخل معها في اللَّفظ أو في المعنى ؛ إي إنَّها عملية تأثر وتأثير بين السَّابق واللاحق . وهو على نحو ما حدَّه دي بوجراند : هو تلك العلاقات القائمة بين نصٍ ما وبين نصوصٍ أُخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بلا وساطة[٧٣]. فمفهوم التناص عند اللسانيين لا يبتعد عمَّا ذهب إليه اللغويين القدماء لا سيما أصحاب البلاغة ، فقد درسوه تحت مصطلح التَّضمين، والاقتباس، والإشارة .

وهذا المعيار كسابقه لا يمكن تطبيقه على النَّص القرآنيّ ، كونه نصاً يؤثر ولا يتأثر نصٌّ معجز لا سابق له. لكن يمكن أن نلمس هذا المعيار في كثير من النَّصوص الشعرية والنَّصوص النَّثرية على نحو قول الإمام علي بن أبي طالب (ع) : " واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيّته إليهم . في الإذعان بالسّجود له والخشوع لتكرمته . فقال سبحانه اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس اعترته الحميّة وغلبت عليه الشّقوة وتعزّز بخلقة النّار واستهون خلق الصّلصال . فأعطاه الله النّظرة استحقاقا للسّخطة واستتماماً للبليّة. وإنجازا للعدة . فقال إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم"[٧٤] فقوله (ع) قد تناص مع القرآن الكريم في حكاية آدم (ع) . وقد يكون التناص معتمداً على أحداث أو تجارب سابقة يقوم منشئ النص بتضمينها كلامه لتحقيق الإفادة التي يقصدها المنشئ كالأمثال العربية على نحو قوله (ع) : " فاستمعوا من ربّانيّكم ، وأحضروا قلوبكم ، واستيقظوا إن هتف بكم . وليصدق رائد أهله ، وليجمع شمله ، وليحضر ذهنه . فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة ، وقرفه قرف الصّمغة "[٧٥] والمثل المُقتبس منه هو : " لا يكذب الرائد أهله " [٧٦] والرائد هو الذى يوجهونه أمامهم لارتياد الكلأ فلا يكذب لأن النفع مشترك بينه وبينهم والمعنى أن الرجل لا يكذب. [٧٧]

إنَّ معرفة المنتج - على ما يبدو - هي أساس ضروري في صياغة النَّص، ومعرفة المتلقي هي الأساس في تفسيره

المعيار السَّابع : الإعلام

وهو معيار قائم على الجدة في الخبر المطروح ، ومدى توقع المعلومات التي في النَّص أو عدمها من قبل المتلقي[١٧٨]. وتعتمد الإعلامية على أمرين مهمين هما:

١. النَّص المُنتَج، إذ ينبغي على منشئ النَّص أن يقدم شيئاً جديداً في النَّص ؛ ليكون النَّص ذا مضمون إعلاميّ يصلح للإعلام به .

٢. ثقافة المتلقي ، فمعالجة المتلقي للنص المطروحة إنَّما تعتمد على ما تراكم لديه من معارف سابقة ، بمعنى آخر أنَّ المتلقي لا يواجه الخطاب وهو خالي الذهن بل يستعين بتجاربه السَّابقة. ويمكننا القول: إنَّ هناك ثلاثة أنواع من الإعلامية هي [٧٩]:

١. الإعلامية العليا ، ويكون توقع الخبر فيها ضئيلاً جداً ؛ كون النَّص المُلقي يحوي على شيء من الغموض الذي يصعب فهمه من قبل المُتلقي .

٢. الإعلامية الدُّنيا ، وتكون نسبة توقع الخبر فيها كبيراً ، كونه خالياً من الغموض وموافقاً لمعلومات المُتلقيّ المتراكمة في الذِّهن .

٣. الإعلامية الخارجية، وتكون نسبة توقع الخبر معدومة تقريباً؛ إذ حاول المُتلقي تفسير هذا الخبر قدر الإمكان مستعيناً بخزينه الذِّهني من المعلومات ، أو بما يمكن أن يقدمه السِّياق الحاوي على النَّص من التَّفسير. ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من إعلان على صبر أولي العزم من الرُّسل بسبب ما لاقوه من أذى أقوامهم في قوله تعالى : "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ " [٨٠] وفي قوله عزَّ وجلَّ : "وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا"[٨١] وهو سؤال فيه " تقرير وتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأنّ هذا من علومهم التي لا تعلم إلاّ بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي"[٨٢]

الهوامش

[١] عناصر النَّظرية النَّحوية في كتاب سيبويه : ٨.

[٢] ينظر : التأنيث في اللُّغة العربية : ٢٥٧.

[٣] ينظر : النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين : ١٢١

[٤] شرح المفصل : ١/ ٨٥

[٥] ينظر : كتاب سيبويه : ٢٨٣/١.

[٦] ينظر : المقتضب : ٨/١ ، ٨٣/١، ١/ ٢٥٥ ، ٣/ ٣٤ ، ٤/ ١٢٥.

[٧] ينظر : تحليل النَّص ، محمَّد خطابي : ٨ــ ٩.

[٨] ينظر : كتاب سيبويه : ٢٥/١.

[٩] ينظر : المصدر نفسه : ٢٨٠/١.

[١٠] القرة ٢٧٤

[١١] الجمعة :٨

[١٢] البروج : ١٠

[١٣] الزمر : ٧٣

[١٤] اليقرة : ١٦٥.

[١٥] الأنعام : ٢٧ .

[١٦] كتاب سيبويه : ١٠٢/٣ ــ ١٠٤.

[١٧] نحو أجرومية للنص الشعري ، سعد مصلوح ، قراءة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، عدد (١ــ ٢)، ١٩٩١م، ص ١٥٤.

[١٨] النص والخطاب والإجراء : دي بوجران ، ١٠٣.

([١٩]) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٣ ــ ١٠٥.

([٢٠]) علم لغة النَّص ، سعيد بحيري : ١٤٦.

([٢١]) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٣.

([٢٢]) ينظر : لسانيات النَّص : محمَّد خطَّابيّ : ٢

([٢٣]) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ، جميل عبد المجيد : ٧٧.

([٢٤]) كتاب الصناعتين : ١٦٨ ــ ١٨٩.

([٢٥]) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٨٨.

([٢٦]) قضايا اللُّغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،أحمد المتوكل ١٣٨.

([٢٧]) أُصول تحليل الخطاب في النَّظرية النَّحويَّة العربيَّة : ١٢٥

([٢٨]) ينظر : لسانيات النَّص ، محمَّد خطابي ،١٧ ، وعلم اللُّغة النَّصيّ ، صبحي إبراهيم الفقي :٢/ ٣٨ ــ ٣٩.

([٢٩]) ينظر : لسانيات النَّص ، محمَّد خطابي : ١١ــ ١٧.

([٣٠]) البقرة : ٢٥٨.

([٣١]) ينظر : تفسير القمي : ٨٦.

([٣٢]) آل عمران : ١١٠.

([٣٣]) في ظلال نهج البلاغة محمد جواد مغنية : ٤٩٥/٢.

([٣٤]) ينظر:التبيان في تفسير القرآن ، الطّوسي :٢١٠/١.

([٣٥]) الحاقة :٥٦٨.

([٣٦]) ينظر : تفسير الميزان ، الطباطبائي : ١٩/ ٤٠٤.

([٣٧]) ينظر : لسانيات النَّص ، محمَّد خطابي : ١٩.

([٣٨]) ينظر : المصدر نفسه : ١٩ــ ٢١.

([٣٩]) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠.

([٤٠]) آل عمران : ١٣.

([٤١]) الفيل ١ـ٢.

([٤٢]) المائدة ٣٢.

([٤٣]) لسانيات النَص ، محمد خطابي ، ٣٤.

([٤٤]) دلائل الإعجاز ، ١٤٦

([٤٥]) الذاريات : ٢٩

([٤٦]) الذاريات : ٢٨.

([٤٧]) ينظر : الخلاصة النحوية : ٨٩.

([٤٨]) البقرة ٢٦.

([٤٩]) ينظر : مجمع البحرين ، الطريحيّ : ٢٣٠/٥

([٥٠]) لسانيات النَّص : ٢٤.

([٥١]) بلاغة الخطاب وعلم النَّص : ٣٤٠.

([٥٢]) ينظر : لسانيات النَّص ، محمد خطابي : ٦.

([٥٣]) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية والدلالة :٧٨.

([٥٤]) آل عمران : ١٠٦ـــ ١٠٧.

([٥٥]) التغابن :١

([٥٦]) التحرير والتنوير ٢٦٠/٢٨

([٥٧]) البقرة : ١١٦

([٥٨]) التفسير اللغوي للقرآن :٢٦٢

([٥٩]) ينظر : دلائل الإعجاز : ٩٣، ٤٥١ .

([٦٠]) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ٦٨ ـــ ٦٩.

([٦١]) إستراتيجية الخطاب ، عبد لهادي الشهري : ٢٢.

([٦٢]) الأنعام : ٧٨.

([٦٣]) ينظر : مجمع البيان : ٤/ ٩٤.

([٦٤]) ينظر : التداولية عند العرب : ٤٢.

([٦٥]) مباديء في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيميّ :١٦١.

([٦٦]) ينظر : النص والخطاب والإجراء ، دي بوجران : ١٠٣.

([٦٧]) البيان والتبيين ، ١ / ٥٤ ـــــ ٥٥.

([٦٨]) ينظر : دلائل الإعجاز : ٤٣.

([٦٩]) البقرة : ٦ـ ٨

([٧٠]) تفسير أبي السعود : ٧٣/١.

([٧١]) تفسير البحر المحيط :١٧٨/١.

([٧٢]) اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النَّص : ١٧٧.

([٧٣]) ينظر : النَّص والخطاب والإجراء : ١٠٤.

([٧٤]) في ظلال نهج البلاغة : ٤٨/١.

([٧٥]) في ظلال نهج البلاغة : ١٣٦/٢.

([٧٦]) المستقصى في أمثال العرب ٢٧٤/٢.

([٧٧]) المصدر نفسه : ٢٧٤/٢.

([٧٨]) ينظر : نحو النَّص : ٢٨

([٧٩]) ينظر : مدخل إلى علم لغة النَص : دي بوجران : ١٨٧.

([٨٠]) الأحقاف : ٣٥.

([٨١]) الأعراف :١٦٣.

([٨٢]) الكشاف :١٦١/٢.

المصادر

القرآن الكريم

- استراتيجية الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط١، دار الكتاب الجديد ، بيروت ٢٠٠٤م.
- أصول تحليل الخطاب في النَّظرية النَّحويَّة العربيَّة ، د. محمَّد الشَّاوش ، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ٢٠٠١م.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ، جميل عبد المجيد ، الهيأة المصرية العامَّة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٩٨م.
- بلاغة الخطاب وعلم النَص ، د.صلاح فضل ، الشركة العالمية للنشر لونجمان ، مصر ١٩٩٦م.
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ، بيروت ، (د.ت) .
- التأنيث في اللُّغة العربية ، د. إبراهيم بركات ، ط١ ، دار الوفاء ، المنصورة ١٩٨٨م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ .
- التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،د. مسعود صحراوي ،ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م.
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ،ط١، دار ابن الجوزي ، ١٤٣٢هـ .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي

- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط١ ،دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، ود.زكريا عبد المجيد النوقي و د.أحمد النجولي الجمل .
- تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي (ت٣٢٩ه)، تحقيق : السَّيد طيب الموسويّ الجزائريّ ، ط٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنَّشر ، قم ، طهران ، ١٤٠٤ه.
- تفسير الميزان ، الطباطبائي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ،(د.ط)،(د.ت).
- الخلاصة النَّحويَّة ، د.تمَّام حسّان ،ط١ ، عالم الكتب ، ٢٠٠٠م.
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية والدلالة ،ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٥م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط٣، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩٢م.
- علم اللُّغة النَّصيّ ، صبحي إبراهيم الفقي ، ط١ ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
- علم لغة النَّص ؛ المفاهيم والاتجاهات ، لونجمان ، ترجمة : د: سعيد بحيري ، ط١، القاهرة ، ١٩٩٧م.
- عناصر النَّظرية النَّحوية في كتاب سيبويه ، د. سعيد البحيري ، ط١ ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٨٩م.
- في ظلال نهج البلاغة ، محمَّد جواد مُغنية ، ط١، مطبعة ستار ، ١٤٢٧ه.
- قضايا اللُّغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،بنية الخطاب من الجملة إلى النَّص د. أحمد المتوكل ،دار الأمان للنشر والتَّوزيع ، الرِّبا،(د.ط)، (د.ت).
- كتاب سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١ دار الجيل، بيروت .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، د. محمَّد خطَّابي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩١م.
- مباديء في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي ،ط٢ ، دار القصبة ، الجزائر ، ٢٠٠٦م.
- مجمع البحرين ، الشيخ فخر الدِّين الطّريحي (ت١٠٨٥ه) ، ط٢، طهران ، ١٣٦٢ش
- مجمع البيان ، الشيخ الطبرسيّ (ت٥٤٨ه) ، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين ،ط١، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م.
- مدخل إلى علم لغة النَّص ، دي بوجران ، ودرسلير ، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ،
- المستقصى من أمثال العرب ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط٢، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٨٧
- المقتضب ،أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت .
- نحو النَّص ، اتجاه جديد في الدَّرس النَّحويّ ؛ د. أحمد عفيفي ،ط١، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠٠م.
- النَّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجران، ترجمة: د تمَّام حسَّان، ط١، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨م.
- النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمَد بنائي ديوان المطبوعات لجزائرية، الجزائر، ١٩٨٣

الدوريات والمجلات :

- نحو أجرومية للنص الشّعريّ ، سعد مصلوح، قراءة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول، المجلد العاشر ، عدد (١ـــ ٢)، ١٩٩١م.
- اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النَّص ، د. سعيد حسن بحيري ، مجلة علامات ،ج٣٨، المجلد ١٠، ٢٠٠٠م.